الباب الأول : أولياء الله

الفصل الأول: الولى والولاية

الولاية عكس العداوة وأصل الولاية المحبة والقرب وأصل العداوة البغض والبعد، والولى هو القريب فيقال هذا يلى هذا أى يقرب منه، فإن كان ولى الله هو الموافق المتبع له فيما يحبه ويرضاه والمبتعد عما يبغضه ويسخطه، كان المعادى لوليه معادياً لله تعالى(١) قال تعالى فى كتابه الكريم: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾(٢) وفى الحديث القدسى قال رسول الله ﷺ نقلاً عن رب العزة سبحانه: «من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل(٣) حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه» (٤).

وذكر الشيخ العثيمين أن الولاية تنقسم إلى قسمين: القسم الأول: وهو الولاية المطلقة وهى لله وحده ولاتصلح إلا له سبحانه وتنقسم إلى نوعين.

النوع الأول: ولاية عامة وتشمل الناس جميعاً البر والفاجر مصداقاً لقوله تعالى:﴿ **ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ** ﴾(٥) والنوع الثانى وهو الذى أفردنا هذا الكتاب له وهى الولاية الخاصة بالمؤمنين مصداقاً لقوله تعالى:﴿ **اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ** ﴾(٦). والقسم الثانى من الولاية هى: الولاية المقيدة وهى ولاية لغير الله ولها فى اللغة معانى عديدة مثل: الناصر، والمتولى الأمر كأن يقال للسلطان ولى الأمر(٧).

---

(١) ابن تيمية فى مجموعة الفتاوى.
(٢) يونس٦٢ .
(٣) النوافل: جمع نافلة وهى ما زاد عن الفرض.
(٤) رواه البخارى فى صحيحه.
(٥) الأنعام : ٦٢ .
(٦) محمد : ١١ .
(٧) القول المفيد على كتاب التوحيد (١٢٦/٣).

ومعنى الولاية فى الشريعة: مرتبة عظيمة فى الدين لا يبلغها إلا من قام بالدين ظاهراً وباطناً ـ بمعنى أن العبد يجب أن تتوفر فيه الاستقامة حتى توافق ظواهر أفعاله وأقواله بواطنها وهو ما يتفق مع قوله لله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك..»(١) ـ فالولاية لها جانبان: جانب يتعلق بالعبد وهو القيام بالأوامر واجتناب النواهى والتقرب إلى الله بالنوافل، وجانب يتعلق بالرب وهو محبته لعبده ونصرته وتثبيته على الاستقامة له(٢).

ويقول ابن كثير: كل من كان تقياً كان ولياً لله تعالى(٣) ويقول البيضاوى: أولياء الله هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم الله بالكرامة(٤). ويقول ابن حجر: المراد بالولاية لله المواظبة على طاعة الله والإخلاص فى عبادته والمعرفة بالله؛ ومعناها شدة الخشية له ومراقبته فى السر والعلن(٥) لأن رسول الله ﷺ وهو أفضل الخلق على الله يقول: «أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له..»(٦) وفى قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا**(٧) **مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ...**﴾(٨) فهذا هو حال الرسو ل الكريم ﷺ وهو خيرالخلق على الإطلاق يتقى الله ويخشاه ولا يأمن مكر الله لقوله تعالى: ﴿ **فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾(٩) وكان عليه الصلاة والسلام لا يكف عن التقرب إلى الله تعالى فقد كان يصلى حتى تتفطر(١٠) قدماه، ويصوم حتى أنه ليشد الحجر على بطنه من شدة الجوع، فعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أن النبى ﷺ صلى حتى انتفخت قدماه فقيل له أَتُكَلَّفُ(١١) هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال ﷺ: «أفلا أكون عبداً شكوراً»(١٢). ويقول النبى ﷺ :«والله

---

(١) متفق عليه.
(٢) اللالكائى فى شرح الأصول.
(٣) تفسير القرآن العظيم.
(٤) تفسير البيضاوى
(٥) فتح البارى.
(٦) رواه البخارى فى صحيحه.
(٧) بدعاً من الرسل: أول الرسل قد سبق قبلى كثير منهم.
(٨) الأحقاف: ٩ .
(٩) الأعراف: ٩٩ .
(١٠) تتفطر: تنشقق وتتصدع.
(١١) تكلف الأمر: تحمله علي ما فيه من مشقة.
(١٢) رواه البخارى فى صحيحه (١١٣٠) ومسلم فى صحيحه، وابن خزيمة فى صحيحه، وأحمد فى المسند.

إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة»(١)ويقول صاحب «جامع العلوم والحكم»: إن من ادعى موالاته ومحبته لله بغير ما شرعه الله على لسان رسوله ﷺ فهو كاذب فى دعواه(٢). ويقول الإمام السفارينى أن للولى أربعة شروط:

١ ـ أن يكون عارفاً بأصول الدين حتى يفرق بين النبى والمتنبىء وبين الخلق والخالق.

٢ ـ أن يكون عالماً بأحكام الشريعة نقلاً وفهماً.

٣ ـ أن يتصف بالأخلاق المحمودة التى دل عليها الشرع من إخلاص العمل وحسن المتابعة والاقتداء بالأنبياء والمتقين.

٤ ـ أن يلازمه الخوف أبداً واحتقار النفس وأن ينظر إلى الخلق بعين الرحمة والنصيحة(٣).

ويقول الإمام اللالكائى: الأولياء هم أناس صالحون ملتزمون بالشريعة الإسلامية ظاهراً وباطناً يعبدون الله وقلوبهم وجلة خشية ألا يتقبل منهم وقد اتخذوا من حياة الرسول ﷺ قدوة لهم وساروا على نهجه لا يدَّعون لأنفسهم مكانة زائدة ولا يزكُّون أنفسهم فهم أهل كرامة الله عز وجل وأهل توفيقه وهذه المنزلة يوفق الله عبده إليها عن طريق الطاعة والعبودية الصادقة لله تعالى وهؤلاء إن تحقق على أيديهم أمر خارق للعادة فهو كرامة(٤).

ويقول أبو بكر الجزائرى عنهم: لله تعالى من عباده أولياء استخلصهم لعبادته واستعملهم فى طاعته فهو وليهم يحبهم ويقربهم ﴿**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾(٥)، وهم أولياؤه يحبونه ويعظمونه، ويأتمرون بأمره، وبه يأمرون، وينتهون بنهيه، وبه ينهون إذا سألوه أعطاهم، وإذا

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه (٦٣٠٧).
(٢) ذكره اللالكائى فى شرح الأصول.
(٣) السفارينى فى لوائح الأنوار.
(٤) اللالكائى فى شرح أصول الاعتقاد.
(٥) الأعراف: ١٩٦ .

استعانوه أعانهم وإذا استعاذوا به أعاذهم يقول رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»(١).

إنهم أهل التقوى والإيمان والبشرى والكرامة فى الدنيا والآخرة فكل مؤمن تقى هو وليٌّ لله لكنهم يتفاوتون فى درجاتهم بحسب تقواهم وإيمانهم فمن كان حظه فى الإيمان والتقوى أوفى كانت درجته عند الله أعلى وكرامته أوفر(٢)، وإذا رجعنا إلى سورة الواقعة واستثنينا أصحاب الشمال والكافرين يمكننا أن نحصر أولياء الله فى طبقتين : سابقون مقربون، وأصحاب يمين مقتصدون لقوله تعالى:﴿ **فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾(٣)، وقوله تعالى:﴿**فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ** ﴾(٤) ويدخل فى هذا التقسيم جميع الأمم بما فيها أمة النبى ﷺ، أما قوله تعالى فى أمة محمد ﷺ على سبيل التخصيص:﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** ﴾(٥) فالفئة الظالمة لنفسها هى العاصية المذنبة والفئة المقتصدة هى التى تؤدى الفرائض وتجتنب المحارم أما الفئة السابقة بالخيرات فهى التى تؤدى الفرائض وتتقرب إلى الله بالنوافل فيحبها الله، فالناس يتفاضلون فى الولاية وذلك لأنهم يتفاضلون فى الإيمان والتقوى فسادات الأولياء هم المرسلون والأنبياء ثم المؤمنون المتقون(٦)، ويؤيد الله أولياءه من المرسلين والأنبياء بالمعجزات يتحدون بها أقوامهم فتكون آية ودليلاً على وجوده تعالى، وطريقاً إلى الإيمان

---

(١) رواه البخارى في صحيحه عن أنس فى الحديثين (٢٨٠٦ ، ٢٧٠٣) ، ومسلم فى صحيحه.
(٢) منهاج المسلم للجزائرى.
(٣) الواقعة :٧ـ١١ . (٤) الواقعة :٨٨ـ ٩١ . (٥) فاطر : ٣٢ .
(٦) مجموعة الفتاوى لابن تيمية.

به، كما يجرى الله على يد أوليائه المتقين دون المرسلين والأنبياء الكرامات كتكثير الطعام وإبراء الآلام وخوض البحار وعدم الاحتراق بالنار ونحو ذلك مما هو من جنس المعجزات غير أن الفرق بينها وبين المعجزة أنها غير مقرونة بالتحدى(١)، ويقول الإمام اللالكائى: ولايشترط أن يظهر الله على يدى عبده من الأمور العجيبة والأحوال الغريبة لكى تتحقق له الولاية فإن ذلك شىء إضافى وليس من شروط تحققها(٢)، وأعظم الكرامات هى الاستقامة على الطاعة واجتناب المحرمات والعصمة من كيد الشيطان ومن غوايته إذ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾(٣) لأن الثبات على الطاعة وحسن الخاتمة هداية من الله لعبده الذى رضى عنه لأن حال الإنسان قد يتبدل من الطاعة إلى المعصية(٤). ومن شروط الولاية كذلك الصلة بين العبد وربه فلا يخلو قلب العبد من ذكر ربه ومعنى موالاة العبد لربه أن يكون معه فى كل أحواله يذكره فى ساعات العسر واليسر ويكون على علم ويقين كذلك بأن الله معه لا يضيعه ولا يخذله لأن العبد إذا تقرب من ربه تقرب الله منه لقول رسول الله ﷺ عن رب العزة سبحانه: «إن تقرب إلىَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلىَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتانى يمشى أتيته هرولة(٥)»(٦) فالعبد المؤمن فى كافة أحواله يكون فى معية ربه يأتمر بأمره وينتهى بنهيه فإذا كان يتقلب فى النعمة يسارع بشكر الله عليها وإن كان فى محنة وبلاء يصبر على البلاء ويدعو الله أن يكشفه عنه فهو يعلم أن الخير والشر فتنة يبتلى الله بهما عباده فيثيب المحسن ويجازى المسىء وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره له كله خير، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»(٧).

---

(١) منهاج المسلم للجزائرى بتصرف.
(٢) شرح الأصول للالكائى.
(٣) الإسراء: ٦٥ .
(٤) الجزائرى فى منهاج المسلم.
(٥) الهرولة: الخطو السريع ما بين السير والجرى.
(٦) رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه .
(٧) رواه مسلم فى صحيحه عن صهيب رضى الله عنه.